

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً).. أَمَا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّاتُهَا، وَكُلُّ مُخَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

مَا هِيَ أَفْضَلُ أَيَّامِكُمْ؟، هَلْ هِيَ أَيَّامُ الْإِنْبِازَاتِ وَالنَّجَاحِ، أَمْ هِيَ أَيَّامُ السَّعَادَةِ وَالْأَفْرَاحِ، أَمْ هِيَ أَيَّامُ الزَّوْجِ وَاللِّيَالِي الْمَلَاكِ، تَخْتَلِفُ أَفْضَلِيَّتُهُ الْأَيَّامَ، وَلَكِنْ مَاذَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟: (أَفْضَلُ أَيَّامِ الدُّنْيَا: الْعَشْرُ - يَعْنِي عَشْرَ ذِي الْحِجَّةِ -).

وَلَا عَجَبَ فِي ذَلِكَ، فَهِيَ مَوْسَمُ الْخَيْرِ وَالطَّاعَاتِ، تَجْتَمِعُ فِيهِ أَمَهَاتُ الْعِبَادَاتِ، فِيهَا الصَّلَاةُ وَالذِّكْرُ، وَفِيهَا الصِّيَامُ وَالنَّحْرُ، فِيهَا الْأَيَّامُ الْمُبَارَكَةُ، وَفِيهَا الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ، كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ).

تَعْجَبُ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ هَذَا الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، وَتَذَكَّرُوا أَكْثَرَ الْأَعْمَالِ أَجْرًا وَأَحَبَّهَا إِلَى الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ، تِلْكَ اللَّحْظَاتُ، الَّتِي تَتَطَايَرُ فِيهَا الْأَشْلَاءُ، وَتَتَدَفَّقُ فِيهَا الدَّمَاءُ، وَتَرْتَفِعُ فِيهَا الْأَرْوَاحُ، إِلَى رَبِّهَا الْعَلِيمِ الْفَتَّاحِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ)، وَلِذَلِكَ لَمَّا سَمِعَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، انْتَفَعَ بِهِ انْتِفَاعًا عَظِيمًا، فَكَانَ إِذَا دَخَلَ أَيَّامَ الْعَشْرِ اجْتَهَدَ اجْتِهَادًا شَدِيدًا حَتَّى مَا يَكَادُ يُقَدَّرُ عَلَيْهِ، فَهَلْ نَنْتَفِعُ نَحْنُ عِنْدَمَا نَسْمَعُ وَنَعْلَمُ عِلْمَ يَقِينٍ، مَا فِي أَيَّامِ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ فَضْلِ ثَمِينٍ؟.

هِيَ أَيَّامُ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ، هِيَ أَيَّامُ التَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: (مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ الْعَمَلِ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثَرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ)، وَلِذَلِكَ لَمَّا سَمِعَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَخْرُجُ إِلَى السُّوقِ فِي أَيَّامِ الْعَشْرِ يُكَبِّرُ، وَيُكَبِّرُ النَّاسُ بِتَكْبِيرِهِ، وَهَذَا التَّكْبِيرُ الْمَطْلُوقُ الَّذِي يَبْدَأُ مِنْ أَوَّلِ ذِي الْحِجَّةِ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، وَيَكُونُ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَمَكَانٍ.

دعونا في هذه الأيام الفاضلة نراجع علاقتنا مع أول ما يُحاسبُ عليه العبدُ يوم القيامة، لما سمع الصحابة رضي الله عنهم قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ)، كانوا كما وصفهم ابن مسعود رضي الله عنه: (وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النَّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يَهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُعَامَ فِي الصَّفِّ)، يُعْوَلُ عُذِيُّ بْنُ حَاتِمٍ: (مَا جَاءَ وَقْتُ صَلَاةٍ قَطُّ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَتْ لَهَا أُهْبَتَهَا، وَمَا جَاءَتْ إِلَّا وَأَنَا إِلَيْهَا بِالشَّوَاقِ).

ولما طعنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، وأغميَ عليه، لم يستطيعوا أن يُوقظوه، وأن ينبهوه إلا بالصَّلَاةِ لِشِدَّةِ حِرْصِهِ عَلَيْهَا، حِينَ قَالَ لَهُ الْمِسُورُ بْنُ مَخْرَمَةَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، الصَّلَاةُ، فَفَرَعَ عُمَرُ، وَأَفَاقَ، وَقَالَ: نَعَمْ، وَلَا حَظَّ فِي الْإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ، فَصَلَّى، وَإِنَّ جُرْحَهُ لِيَتَعَبُ دَمًّا، فَحُبُّ الصَّلَاةِ وَسِرْعَةُ الْاسْتِجَابَةِ، هِيَ الَّتِي رَفَعَتْ مَكَانَةَ الصَّحَابَةِ.

واحرصَ في هذه الأيام التسعة الفاضلة على الصِّيَامِ، فهي العبادة الوحيدة التي أُخْفِيَ أَجْرُهَا عَنِ الْأَنْبِيَاءِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ)، فَذَلِكَ فَإِنَّكَ تَسْمَعُ عَجَبًا مِنْ صِيَامِ الصَّالِحِينَ، طَمَعًا فِي عَظِيمِ أَجْرِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

صَامَ دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَا يَعْلَمُ بِهِ أَهْلُهُ، وَكَانَ خَرَّازًا يَحْمَلُ مَعَهُ غَدَاءَهُ مِنْ عِنْدِهِمْ، فَيَتَصَدَّقُ بِهِ فِي الطَّرِيقِ، وَيَرْجِعُ عَشِيًّا، فَيَفْطِرُ مَعَهُمْ، فَيَظُنُّ أَهْلُ السُّوقِ أَنَّهُ قَدْ أَكَلَ فِي الْبَيْتِ، وَيَظُنُّ أَهْلُهُ أَنَّهُ قَدْ أَكَلَ فِي السُّوقِ.

وَالصَّدَقَةُ الصَّدَقَةُ أَثِيهَا الْحَبِيبُ، وَتَذَكَّرْ ذَلِكَ الْمَوْقِفَ الْمُهَيْبَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُ رَبَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجَمَانٌ، ثُمَّ يَنْظُرُ مَنْ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ يَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ، فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، ثُمَّ يَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ).

يَقُولُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يَقُولُ: أَمَرْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبَقُ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه إِنْ سَبَقْتَهُ يَوْمًا، قَالَ: فَجِئْتُ بِنَصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟، قُلْتُ: مِثْلَهُ -أَي تَصَدَّقَ بِنَصْفِ مَالٍ-، وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟، قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، قَالَ عُمَرُ: لَا أَسْبَغُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا، فَعَجِيبٌ عُجَابٌ، أَمْرٌ هُوَ لِأَصْحَابِ.

نَفَعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، يوالي على عباده مواسمَ الخيراتِ، ليكفّرَ عنهم السيئاتِ، ويرفعَ لهم الدرجاتِ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، أما بعد:

وأما كتابُ الله تعالى فليكنْ له في هذه الأيامِ أكبرَ الحظِّ والنصيبِ، اقرأ وتدبّر، رتّل وتفكّر، في غزوةِ ذاتِ الرِّقاعِ نزلَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منزلاً، فَقَالَ: (مَنْ رَجُلٌ يَكَلُّنَا لَيْلَتَنَا هَذِهِ؟)، فانتدبَ رجلٌ من المهاجرينَ ورجلٌ من الأنصارِ فَقَالَ: نَحْنُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ لِلْأَنْصَارِيِّ: اخفني أولَ الليلِ وأكفنيك آخره، فاضطجعَ المهاجريُّ فنام، وقامَ الأنصاريُّ يُصلي، وأتى رجلٌ من المشركينَ، فلما رأى شخصَ الرجلِ رماهُ بسهمٍ فوضعهُ فيه، فنزعهُ وثبتَ قائماً، ثم رماهُ بسهمٍ آخرَ فوضعهُ فيه، فنزعهُ وثبتَ قائماً، ثم عادَ له بثالثٍ فوضعهُ فيه، فنزعهُ ثم رجعَ وسجدَ ثم أهبَّ صاحبه، فقال: اجلسْ فقد أُوتيتَ، فلما رأى المهاجريُّ ما بالأنصاريِّ من الدماءِ قال: سبحانَ اللهِ ألا أهببتني من أولِ سهمٍ، قال: كُنْتُ فِي سُورَةٍ أَقْرؤها فَلَمْ أَحِبَّ أَنْ أَقْطَعَهَا حَتَّى أَنْفِذَهَا -أَيُّ أُهَيِّهَا-، فهل رأيتم مثلَ هؤلاءِ الأنامِ؟، قراءةُ القرآنِ تُسيهم الآلامَ، بل وضربَ السيوفِ وطعنَ السهامِ، والموتُ أهونٌ على أحدهم من قطعِ كلامِ ذي الجلالِ والإكرامِ.

فيا مَنْ فرطَ في رمضانَ وما فيه من عظيمِ الأجرِ، وفاته مغفرةُ الذنوبِ ولبلةُ القدرِ، وصيامُ ستِّ من شوالٍ وأجرُ صيامِ الدهرِ، ها قد جاءتك العشرُ، فتقربْ إلى الله تعالى بالصلاةِ والصيامِ والصدقةِ والذكرِ، والصبرِ الصبرِ، فإنما هي أيامٌ وينقضي العمرُ، فاجتهدْ حتى تكونَ من الذين قالَ اللهُ تعالى فيهم: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ \* أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ \* فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ \* ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ \* وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ).

عبادَ الله .. قالَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا رَأَيْتُمْ هَلَالَ ذِي الْحِجَّةِ وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضَحِّيَ فَلْيُمْسِكْ عَن شَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ)، وقالَ: (إِذَا دَخَلْتَ الْعَشْرَ وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضَحِّيَ فَلَا يَمَسَّ مِنْ شَعْرِهِ وَبَشَرِهِ شَيْئاً)، وهذا النهيُ خاصٌّ بصاحبِ الأضحيةِ، أما المضحَّى عنهم من الزوجةِ والأولادِ فلا يعمهم النهيُ، واعلموا أنه (لَنْ يَنَالَ اللهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ)، تقبَّلَ اللهُ منا ومنكم.

اللهم طهرْ قلوبنا، وزكِّ نفوسنا، وأرشدْ عقولنا، وحسنْ أقوالنا، وأخلصْ أعمالنا، وأصلحْ أحوالنا، وضاعفْ أجورنا، وارفعْ منازلنا برحمتك يا أرحمَ الراحمينَ، اللهم وفقنا للصالحاتِ، واصرفْ عنا الشرورَ والسيئاتِ، واغفرِ اللهم لنا ما مضى وما هو آتٍ، برحمتك يا ربَّ الأرضِ والسمواتِ، اللهم آمناً في أوطاننا، وأصلحْ أئمتنا وولاءَ أمورنا، واجعلْ ولايتنا فيمن خافك واتبعَ رضاك يا ربَّ العالمينَ، اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكِّها أنتَ خيرٌ من زكِّها، أنتَ وليها ومولاها، اللهم اغفر للمسلمينَ والمسلماتِ والمؤمنينَ والمؤمناتِ الأحياءِ منهم والأمواتِ، وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربَّ العالمينَ.